

أضواء البيان

@ 380 يَتَذُنُّونَ صُدُّوْرَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ { ، وذكرنا طرفاً من ذلك ، في أول سورة سبأ ، في الكلام على قوله تعالى { عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ } . قوله تعالى : { وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَسْرِ زَفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطْمِئِنَّةٍ . الإنذار ، والإعلام المقترن بتهديد خاصة ، فكل إنذار إعلام ، وليس كل إعلام إنذاراً . . . وقد أوضحنا معنى الإنذار وأنواعه في أول سورة الأعراف في الكلام على قوله تعالى { كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي سُدُورِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِيَتَذَرَ بِهِ } .

والظاهر أن قوله هنا { يَوْمَ الْأَسْرِ زَفَةِ } هو المفعول الثاني للإنذار لا طرف له لأن الإنذار والتخويف من يوم القيامة ، واقع في دار الدنيا . والآفة القيامة . أي أنذرهم يوم القيامة ، بمعنى خوفهم إياه وهددهم بما فيه من الأهوال العظام ليستعدوا لذلك في الدنيا بالإيمان والطاعة . .

وإنما عبر عن القيامة بالآفة لأجل أزوفها أي قربها ، والعرب تقول : أزف الترحل بكسر الزاي ، يأزف بفتحها ، أزفا بفتحتين ، على القياس ، وأزوا فهو أزف ، على غير قياس ، في المصدر الأخير ، والوصف بمعنى قرب وقته وحوان وقوعه ، ومنه قول نابغة ذبيان : ومنه قول نابغة ذبيان : % (أزف الترحل غير أن ركابنا % لما تزل برحالنا وكأن قد) % . ويروى أفد الترحل ، ومعناها واحد . .

والمعنى { وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَسْرِ زَفَةِ } أي يوم القيامة القريب مجيؤها ووقوعها . .

وما تضمنته هذه الآية الكريمة ، من اقتراب قيام الساعة ، جاء موضحاً في آيات أخر كقوله تعالى { أَزِفَاتِ الْأَسْرِ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ } وقوله تعالى { اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ } . وقوله تعالى { اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ } . وقوله تعالى في الأحزاب : { وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا } وقوله تعالى في الشورى { وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ } .